بريطانيه : صندوق الاستكشافات الفلسطينية

تأسس صندوق الاستكشافات الفلسطينية عام ١٨٦٥ ، ولكن سبقته مؤسسات أخرى تعمل لنفس الهدف ، ففي عام ١٨٠١ شكلت في لندن جمعية باسم جمعية فلسطين مهمتها جمع ونشر المعلومات عن جغرافية البلاد المقدسة وسكانها ومناخها وتاريخها. ولم تتمكن هذه الجمعية من عمل شيء يذكر ، سوى نشر ترجمة بالانجليزية لكتاب سيتزن يصف فيه الاراضي المحيطة ببحيرة طبرية ونهر الاردن . وعزي فشل جمعية فلسطين الى خطورة الوضع في البلاد والى كون الوقت غير مناسب للاستكشاف . وفي عام ١٨٣٠ تشكلت الجمعية الجغرافية الملكية فرأت جمعية فلسطين انه لم يبق مبرر لوجودها وسلمت الى الجمعية الجديدة جميع ما لديها من ملفات وكتب واموال . ولكن انشغال الجمعية الملكية الجغرافية بسائر انحاء العالم لم يمكنها من عمل شيء ذي بال في سبيل اكتشاف فلسطين. وظهر في اواخر الثلاثينات حزب سياسي في بريطانيا بأسم « الحزب الديني » كان من أبرز قادته اللورد آشلي (ايرل شافتسبري) ، والهدف الرئيسي لهذا الحزب هو نشر المذهب البروتستانتي الانجليكاني بين اليهود وتجميعهم في فلسطين تمهيدا لعودة السيد المسيح . وفي نفس الفترة وبالذات في عام ١٨٣٨ ، قدم الى فلسطين قس امريكي اسمه ادوارد روبنسون كان قد عين استاذا لادب التوراة في كلية الاتحاد الدينية في نيويورك وبدأ عمله بزيارة لفلسطين استمرت ثلاث سنوات ، ونشر لدى عودته عام ١٨٤٢ كتابا بعنوان « ابحاث توراتية في فلسطين » ومنحته الجمعية الملكية الجغرافية المدالية الملكية الذهبية مكافأة له على هذا المجهود ، وعاد روبنسون مرة اخرى الى فلسطين بعد عشر سنوات وكانت نتيجتها كتابا آخر بعنوان « ابحاث توراتية جديدة في فلسطين » نشر عام ١٨٥٦ ، وكان لهذين الكتابين أثر كبير في اثارة اهتمام الرحالة والمكتشفين والباحثين .

وشهدت البلاد في الاربعينات موجة من المكتشفين والرحالة من نوع اخر : ضباط هدفهم مسح البلاد ورسم الخرائط لها(١)، ففي عام ١٨٤١ قام الملازم سيموندس من سلاح الهندسة في الجيش البريطاني بزيارة فلسطين ومسح المنطقة الممتدة من يافا الى القدس، فالبحر الميت. وفي عام ١٨٤٧ قام الملازم مولنوه من الاسطول البريطاني بالسفر في قارب من بحيرة طبرية حتى البحر الميت ومسح المنطقة ، وتلاه في العام التالي في رحلة مماثلة الملازم لنش من الاسطول الامريكي وعلاوة على مسح النهر والبحر الميت قام بقياس عمق البحر الميت بواسطة الارتداد الصوتي . وفي عام ١٨٥١ — ٥٢ قام الملازم فان دي فيلد من الاسطول الهولندي بزيارة فلسطين وزارها مرة اخرى بعدعشر سنين ورسم لها خارطة وكتب ملاحظات مفصلة .

هذه كلها كانت حوافز خارجية لتشكيل صندوق الاستكشافات الفلسطينية كما يقول مؤسسو الصندوق ، الا ان من الزوار الذين قاموا بدور رئيسي في تأسيسه نائب مطران وستمنستر الذي زار البلاد عام ١٨٥٦ وكتب لدى عودته كتابا بعنوان (سيناء وفلسطين) وزارها مرة اخرى عام ١٨٦٢ مرافقا لولي عهد الملكة فيكتوريا الذي اصبح فيما بعد ملكا بأسم ادوارد السابع(٢). وكان ولي عهد بريطانيا اول سائح غربي يزور مغارة المقبلة الكائنة تحت الحرم الابراهيمي الشريف في الخليل واعتبر البريطانيون هذه الزيارة فاتحة عهد جديد واصبح السياح البريطانيون وغيرهم من الاوروبيين يزورون هذه المغارة وقالت صحيفة التايمز اللندنية ان هذه الزيارة فتحت آفاق البحث في سوريا امام المسيحيين(٣).

كانت البداية ان تبرعت البارونة بورديت كوتس عام ١٨٦٤ بتقديم مبلغ خمسمائة جنيه — وهو مبلغ ضخم في تلك الايام — لاجراء مسح لمدينة القدس بغية تحسين موارد المياه فيها(٤). دفع المبلغ الى مدير المساحة الانجليزي ووقع الاختيار على ضابط من سلاح الهندسة بالجيش البريطاني وهو الرئيس (النقيب) تشارلس ويلسون(٥)

---

١ — Fifty Years Work in Palestine, P. E. F. London, 1915.

٢ — المصدر نفسه .

٣ — The Times 22. 4. 1865

٤ — Fifty Years Work in Palestine

٥ — اصبح فيما بعد رئيس المخابرات البريطانية برتبة جنرال واعطي لقب سير .